ثنائية (القرب / البعد) في شعر ابن زمرك الاندلسي

أ.م.د. منير عبيد نجم الجبوري

الباحث. اسلام ثامر عبد الله المعموري

جامعة بابل – كلية التربية الاساسية – قسم اللغة العربية

journalofstudies2019@gmail.com

الملخص:

يلجأ بعض الشعراء الى إظهار معاناتهم العاطفية عن طريق التضاد, أذ يعزز من تعميق بنية النص الدرامية والفكرية, وما توفره التضادات من قيم جمالية متولدة من إجماع الاضداد في نص شعري واحد, ومنها ثنائية (القرب / البعد) لما لها من دور جمالي يجسد الصراع بين الحبيبين على أساس التضاد أو التناقض على صعيد القرب او البعد أو الوصل والهجر, بأسلوب جميل يستقطب المتلقي الى النص.

الكلمات المفتاحية: (ابن زمرك، ثنائية (القرب / البعد)، التضاد).

Duality (nearness / distance) in the poetry of Ibn Zamrak Al-Andalusi

Prof. Dr. Munir Obaid Najm Al-Jubouri

Researcher: Islam Thamer Abdullah Al-Maamouri

University of Babylon - College of Basic Education - Department of Arabic Language

Abstracts:

Some poets resort to showing their emotional suffering through antagonism, because of its role in deepening the dramatic and intellectual structure of the text, as well as the aesthetic values provided by antagonisms generated from the consensus of opposites in one poetic text, including the duality (nearness - distance) because of its aesthetic role It embodies the conflict between the two lovers on the basis of antagonism or contradiction at the level of proximity or distance, connection and abandonment, in a beautiful style that attracts the recipient to the text.

Keywords: (Ibn Zumrak, duality (nearness / distance), antagonism).

اولاً: القرب والبعد في الدلالة اللغوية: معنى القرب في الدلالة اللغوية ضد معنى البعد, يقال:" قربتُ منهُ اقربُ وقربتهُ قرباً وقرباً ويستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الحظوة وفي الرعاية والقدرة" [١], وقال الليث " القرابُ والقِرابُ مقارنة الشيء تقول : مَعَهُ مِلْء قدح ماء أو قرابُهُ, وتقول : أتَيْتُهُ قُرابَ الشيء, وقُرابَ الليلِ"[٢].

أما البعد فهو خلاف القرب " وابعدهُ الله نحاهُ عن الخير وباعد الله بينهما وبعد"[٣] قال تعالى:

﴿ ربنا باعد بين اسفارنا﴾[٤] , وقال تعالى: ﴿كما بعدت ثمود﴾[٥] ولانجد تعريفاً لمفهوم البعد والقرب جامعاً مانعاً يمكن الركون اليه لأن كل واحد منهما يحمل اكثر من معنى.

أن ائتلاف ثنائية (القرب/ البعد) ائتلافاً منطقياً ضمن أطار الثنائية الضدية التي تتسم في خلق مكون ابداعي جمالي في قصائد ابن زمرك الاندلسي وقد اخذت هذهِ الثنائية حيزاً كبيراً في شعرهِ أضافت الى النصح صفة الصراع بين الحبيبين على صعيد (الوصل/ الهجر)، فعبر عن الحب والغرام بصورة فنية بديعة عبر استخدامه للتضاد لعيبر عن غايتهِ لتكون نتاجاً صادقاً يعبر عن خوالج الشاعر النفسية المريرة وبأساليب قائمة على الضد فقد عد الشعراء التضاد " نزعة عقلية في النهاية ويدرك الاثر النفسي الذي يولدهُ اجتماع الضدين لدى المتلقي"[٦].

وقد تأتي الثنائية بطريقة غير مباشرة بمفردات رديفة تشير الى نفس الدلالة والمعنى التي تضمنتها الثنائية, ذلك ان من طبيعة الثنائيات الضدية اعتمادها الفكر القائم على التضاد، وللتضاد وظائف دلالية وجمالية يتعامل الشاعر معها بوعي وبرؤية معمقة, ولعل ابرزها " تعميق البنية الدرامية للنص من خلال اثارة الوهج الصراعي بين المتناقضات , ثم تعميق البنية الفكرية للنص من خلال حركة الجدل الصراعي بين الثنائيات المتضادة اما الوظيفة الجمالية فتتجسد بإثارة الدهشة والمفارقة المتولدة من اجتماع اليقظة في بيت شعري واحد او في قصيدة واحدة "[٧].

وعبر عن مُعَاناتهِ ولوعتيهِ في آلام البعد التي يعاني منها فانطلق بنصوصهِ الشعرية عن تلك الحسرات, وما يعتصر قلبه من شوقٍ والمً قائلاً[٨]:

(الطويل)

أُحـــدّثُ نَفْســـي باللّقَـــاءِ تَعَلـــلاً وَهيَـــاتَ مَـــا يُغنـــي المشُـــوقَ التعلّـــلُ
وأقبـــلُ أخبـــار النّســـم إذا سَـــرَى فيـــا عَجبـــاً مِـــنْ ضـــعيفها وَهـــيَ تُقْبـــلُ

تبدو ثنائية (القرب/ البعد) واضحة في البيتيين السابقين فقد شكل بعد الحبيب عن المحب باعثاً نفسياً في إطار الاغتراب العاطفي وتكوين ثنائية متضادة قائمة على اساس (القرب / البعد), إذ يتواجد الهجر ويغيب الوصل الذي يطمع اليهِ الشاعر.

ولشدة تأثر الشاعرِ ببعد الحبيب وما سببهُ ذلك له من آلام وقلق واضطراب نفسي فقد جعل الشاعر يحدثُ نفسهِ بلقاء الحبيب ليسلي بذلك نفسهِ ويقلل من آلامهِ الداخلية وليخفف عن نفسهِ اضطرابها, لكن تلك المواعيد الكاذبة لا تغني قلب المشتاق لرؤية حبيبتهِ, ومع تلك الاخبار الكاذبة يرضى باخبار النسيم الذي يحمل أوْهام اللقَاء.

ثم يعجب الشاعر من نفسهِ التي تُقبل على أكاذيب اللقاء علّها تجد حجة لتبرير بُعد المحبوبة حيث يستحضر (القرب) في مخيلتهِ لتعويض فقدهِ في الواقع والقلق هو شعور لا يتعلق بلحظة معينة, فقد اضحى قلق الشاعر مستمراً[٩].

وقد يلجأ الى تشبيهِ جسمهِ بالخيال ليعبر عن آلام البعد, إذ قال[١٠]:

(الكامل)

صَيَّرْتُ جسْمي كالخيَالِ لَعَلّهَا تُدْني إليْهِ في المنام خيالها

وعندما نتأمل البيت السابق نستشعر شدة الالم والاسى الذي أحدثهُ الفراق و(بعد) الحبيب عن الشاعر وتلك الرغبة الجامحة في الوصال من قبل الشاعر, فقدم أوجاع المحب المفارق في صورةٍ تشبيهية جميلة نلمس منها صدق الإحساس المتوهج من ألم الفراق.

وبعد أن يأس الشاعر من إيجاد ضالتهِ في الحقيقة لجأ الى الاحلام معتمداً على الخيال العاطفي وهو " خيالٌ هش , ويمتلك قدرة للتحرر من قيود الواقع, لكنهُ يتبدد بسرعة حين يستفيق الشاعر على خيبة أمل عشقهِ والخيال العاطفي الليلي خيال سدمي, لأنهُ يقوم على استحالة حضور الحبيبة, ولأنه جعل الشاعر يجمع بخيالهِ بعيداً عن الحقيقة"[١١], فكان استعانة الشاعر بالخيال لتسلية نفسيهِ وتعد لغة البناء الشعري لغة خيالة ذات انفعالات وعلاقات داخلية[١٢] روحية فكان يبث احزانهُ وما يتخللهُ من مشاعر وعواطف مضطربة في قصائدهِ التي تعبر عن الاغتراب العاطفي التي يحياها الشاعر لـ "يوقظ فينا أعمق الإحساسات الجسيمة من جهة , وارفع العواطف الأخلاقية واسمى المعاني الفكرية من جهةٍ أخرى"[١٣].

وعبر ابن زمرك عن صدق حبهِ تجاه المحبوبة واظهر حقيقة ذاتهِ [١٤]، وضعفهِ في مواجهة آلام (البعد) عن الحبيب,أذ قال[١٥]:

وَمَـا عنـىَ غيـر قلبـي مـن شـبيهةٍ كـــــم ليلـــــة أطـــــبقن جفـــــن
كريشـةٍ فـي مهـب الـريح فـي قلـقِ طيـف الخيـال ومـا جفنـي بمنطبـقِ

ويوعز البيت الشعري أن المحب في وضع نفسي مأزوم بعيشهُ بسبب (بعد) الحبيب عنهُ فالحبيب على الرغم من بعدهِ الجسمي إلا انهُ قريب وباقٍ في خبايا القلب وهذا ما يسبب الاسى والحزن فذكرى الحبيب لا يطمئن لهُ مهَاد فالقرب هو الغاية المنشودة التي يبحثُ عنها المحب فالبعد المكاني والقرب الروحي جاء عن طريق التفاعل العاطفي, وهو المسبب بعدم الاستقرار والضعف مما جعل الشاعر يشبه قلبهُ (بالريشة) في مهب الريح, لعبير عن عدم استقرارهِ النفسي, معتمداً على أداة التشبيه (الكاف) ليزيد من درجة الحيرة والقلق وعدم الاستقرار متمثلاً بـ(كم) الخبرية لعبير عن عدم نومهِ, فكم من حبيب سعد بلقاء حبيبتهِ في المنام الا جفنهِ الذي لم يطبق ليتسنى له رؤية حبيبتهِ, ليبين لنا مدى اشتياقهِ ومدى رغبتهِ بالقرب(الوصال) ومدى تألمهُ من البعد لدرجة تمنى لقاء حبيبتهِ ولوكان ذلك في المنام, فنجد جمال الحس الذي يتمتع بهِ الشاعر وهو حس مرهف يعكس الشعور بالاغتراب والبعد العاطفي[١٦].

ولجأ الى الطيف ليعوض ما فقدهُ في الحقيقة من قرب ووصال، فالطيف" مظهر لا شعوري من مظاهر أدائهِ وهو الزمن المسروق ومحاولة تعويضهِ لخلق برهة الفرح المنهوبة"[١٧].

ويبث الشاعر الم الفراق والبعد شاكياً مُعاناة (البعد)، يقول[١٨]:

(المتقارب)

وَشـــكوىَ يَحِـــنُّ اليْهَـــا الجَمَـــادُ فَقُـــلْ لِفـــؤادِك صَـــبْراً جمـــيلاَ

أجِيـــلُ اللـــواحِظ فـــي حُسِـــنهَا فَيَرْجُـــع طرْفِـــيَ عَنْهَـــا كلـــيلاَ

وتتضح معاناة الشاعر من الم الفراق بشكل جلي اذ يبث شكواه عبر ثنائية (القرب/ البعد) فالقرب هو الغاية التي يطمح الشاعر في الوصول اليها, لكن الطرف الآخر (البعد) هو المهيمن على النص لذا يُظهر الشاعر التوجع والحسرة ويحن عليه حتى الجماد، ويحاول الشاعر جاهداً تهدئة نفسهِ وتقديم المواساة لها بقوله (صبراً– جميلاً) لكن طرفهُ سرعان ما يرجع اليهِ متعباً لشدة التأمل والنظر في خيالها.

كما ان عدم التكافؤ في العواطف بين المحبين قد حمل في طياته معاني الشكوى والالم والشوق عند ابن زمرك وهذه المشاعر المتصارعة قد " البسها الشاعر سحراً يأخذ بمجاميع القلوب ... فأبرز ما خفي

من المشاعر والاحاسيس بصورة حسية تمثلت في هذه المناجاة بين ضميره وطيف المحبوبة ولكن الاسى يقف لهم بالمرصاد"[١٩].

ويظهر الشاعر اشتياقه ولوعتهِ من ألم (البعد), يقول[٢٠]:

(الطويل)

يَهِـيمُ بليلـــيَ وهِـــيَ يســرَّ وُجُـــودهِ وَمِنْهَـــا فـــي مُشْـــكِلِ الأمْـــرِ يَفْـــزَعُ
وَيَاعَجبـــاً يقـــتصُ آثـــارَ نَعِلهَـــا وَفِـي القَلبِ ما فِي القَلبِ مِنها مُوَدَّعُ

يتحرك النص الشعري في فضاء الصراع النفسي الذي تم توظيفهُ في اطار (القرب/ البعد) فقد صور الشاعر مشاعره المتضاربة بين الهجر والوصل, وبين الاسى والشوق, وكيف يذوب آسى وآلماً على فراق محبوبتهَ ويحترق شوقاً للوصال, فلا يكاد الشاعر يصبر لذلك الفراق بل انه لا يستطيع العيش دونها فهي سر وجودهِ ويربط وجودهِ بوجودها, فغياب الحبيب يؤدي الى اضطراب الشاعر وشعوره دائماً بالنقص والصراع النفسي لذا نرى قد جسد عاطفته في الحب وبث فيها لواعجه واطلق لوجدانهِ العنان ضمن ثنائية (القرب/ البعد) فجاءت كلمة تعبر تعبيراً صادقاً عن خلجاتٍ نفسية وومضات حبهِ فـ "وجود المرأة يرتبط انطولوجياً بوجودها من اجل الاخر ومع الآخر"[٢١].

فشدة الشوق الذي جعله يقتفي أثر محبوبتهِ ويتتبع حركتها من خلال آثار نعلها ليبين مدى تمسكهِ بها وما احدثهُ فراقها من الم في نفسه.

وعبر ابن زمرك عن ماصابه من أوجاع المحب المفارق لمحبوتهِ قائلاً [٢٢]:

(الطويل)

مَتَى أو عَسَى أو كَيْفَ يا أُمّ مَالِك تُكحِـل طَرْفِـي لَمْحَـةٌ مِـنْ جمالِـك
ويـا عجبـاً مِمّـن سَـكَنْتِ فـؤادهُ وَمـــا شـــاقَهُ إلا إزورارُ خيالِـــك
فِرفقـاً بِصـبٍ فيـكِ أفنـى شـبابَهُ وَأقْصَـــى مُنَـــاهُ أنْ يَمُـــرَّ بِبالِـــكِ

يفضح الشاعر في قصيدتهِ عن ألم المحب المفارق بلغة قوية نلمس منها صدق الاحساس المتوهج ألماً لفراق من يحب, فصار البعد أمراً يشقيهِ ويعذبهُ, رغبة منهُ في الوصال وتظهر شدة الرغبة بالوصال من قبل الشاعر باستعمالهِ اداتي استفهام (متى / كيف) ليبين عن مدى اضطرابهِ النفسي المتوتر إضافة الى ترجي محبوتهِ بقولهِ (عسىَ) أن تشفق عليهِ بلمحة من جمالها ليكحل بها طرفهُ, ثم يطلب ان ترفق بحالهِ ولو بالتفاتهِ اليهِ , فرغبة (القرب) المتغيبة تكاد تقتل الشاعر لما تسببهُ له من معاناة وآلام فأصبح

كالضائع المناجي بنبرة حزن يحاول استعطاف الاخر، فتنازل الشاعر عن كبريائهِ في استعطافهِ للحبيب دون جدوى فأقصى ما يتمناهُ أن يمر ببال الحبيب(٢٣).

وفي موضع آخر عبر عن آلام البعد, أذ قال(٢٤):

(الطويل)

يَضنُّ عَلَىَ عَيْني الحَبيبُ بنظرَة وَعَيْنِي بِدُرّ الدَّمْع في حُبّهِ تَسْخُو
وَفيهِ ذَوَىَ رَوْضُ الشباب وَغُصْنُهُ يَرفُّ عَليْهِ مِنْ نَضَارتِهِ شَرْخُ
وَمَنْ فَسَحَ السُّلوَانُ صَفْقةَ حُبّهِ فَصَفقةُ حُبّي لَيْسَ يُدركها فسخٌ

تدل الأبيات السابقة عن شدة أوجاع الشوق والألم لبعد الشاعر عن محبوتهِ, حتى جاد في سكب الدموع تألماً وحزناً للفراق والبعد حتى ذوى شبابهُ وهو يستجدي الرضا, وهذهِ الثنائية تحيلنا الى ثنائية تضادية اخرى قائمة بين (القبول / الرفض) , فالقبول هو القرب الذي ينشدهُ الشاعر ويأمل في الوصول اليهِ أما طرف (الرفض) وهو يعني استمرارية الفراق والبعد وهذا ما يحزن الشاعر الذي يشكوا في سكب الدموع لأجل المحبوب لكن الطرف الآخر يبخل حتى بنظرةٍ, تلك النظرة التي تسعد الشاعر وتدخل الفرح الى قلبهِ, فهي الدواء لقلب الشاعر المريض.

ولكي يخفف الشاعر عن نفسه من الم الفراق لجأ الى طيف محبوته ليهتدي بهِ من ظلمة الليل، يقول(٢٥):

(الطويل)

خَيالٌ عَلَىَ بُعْدِ المزَارِ ألمّ بي فأذْكَرَني مَنْ لَمْ أكُنْ عَنْهُ سَاليا
عَجِبتُ لَهُ كَيْفَ أهتَدي نَحوَ مضجعي وَلَم يُبْقِ منّي السّقْمُ والشّوقُ بَاقِيا

يجسد ابن زمرك عاطفته في الحب ويبث فيها لواعجهُ وآلامهُ وتظهر حالة التأزم والصراع النفسي التي يعيشها الشاعر في هذين البيتين أشد وإظهار عاطفتهِ التي هي عبارة عن " غموم أسى احتشدت بعد الفراق والتغير فهي حسرة على ما فات وبكاء على عهود انقضت وأحلام تبددت"(٢٦).

فلم يبق من محبوبتهِ إلا طيفها الذي يزوره في الليل وهو ملقى على فراشهِ يعاني الم الفراق والبعد وقد توقد قلبه ناراً للإشتياق , ثم يبدي الشاعر تعجبهُ عن كيفية استطاعة الطيف ان يهتدي إليه على الرغم

من ضعفهِ, فتلك الزيارة ازالت السقم عنهُ لكن حرارة الاشتياق لا تزال متوهجة في نفسهِ , فهي اكبر من ان تزال بطيف.

ويرى بأن نظرة من المحبوب تكفي ليكحل بها عينهِ, يقول[٢٧]:

(البسيط)

لَمْ تَطْلبِ العَيْنُ في آثارها شَططاً فَلَمْحةٌ مِنْ سنا المَحبوبِ تكِفيها

لا يكاد الشاعر يحتمل آلام البعد, فشدة الشوق لذلك الوصال الذي يرومهُ ابن زمرك والذي لم يكن حاضراً وما نتج عن ذلك من الحرمان والاغتراب العاطفي جعلهُ يقبل بنظرة من الحبيب اليه ليدل على مدى اضطرابهِ وتألمهِ من ذلك البعد المؤلم.

وهكذا تجلت الثنائية في النصوص الشعرية والتي قد غلب عليها حضور البعد (الهجر) وغياب (القرب) الذي يطمح إليه الشاعر دائماً مما كان سبباً في خلق صراع واضطراب لدى الشاعر العطش الى اللقاء والوصل الذي يعاني من فقدهِ دائماً.

ويرى الشاعر ان يوم اللقاء والقرب من المحبوب هو العيد بالنسبة اليهِ, يقول[٢٨]:

(الخفيف)

تتمحور معانِي الابيات السابقةِ ضمن ثنائية (القرب/ البعد) فالشاعر يتقلب بين هذين المعنيين فيعاني آلام البعد وما يسببهُ من قلق دائم وبين تمني(القرب) الذي ينشدهُ بلهفةٍ كبيرة , حتى يصف ذلك اليوم الذي يتحقق فيهِ الوصل بانهُ يوم العيد الاكبر , والجميلة في هذهِ الابيات ما استعملهُ الشاعر من جناس في البيت الاول بين لفظتي (عودي) الاولى وهو تمني عودة ايام الوصال الاولى والذكريات وبين (عودي) الثانية اي قوة الشاعر وتحملهِ التي قد ذوت وتذللت نتيجة لذلك الفُراق الذي لا يقوى على تحمل استمرارهِ اطول , فلجأ الى الدعاء لتقريب اللقاء .

وما نلمسهُ من تضاد على مستوى المفردات بين كلمتي (اللقاء/ الفراق) و(عيد / وعيد) ليدل على جذوة الشوق والحنين في قلبهِ التي لا تهدأ إلا بلذة الوصَال التي ينشدها الشاعر.

وقد لايقوى الشاعر حتى على سماع كلمة الفراق فهي ثقيلة على مسمعهِ لما توحي اليهِ آلام الفراق وذكريات الماضي الجميل, يقول[٢٩]:

(الخفيف)

أسْـمعُوني الفِـرَقَ فَارْتَـاعَ قَلبـي وَثَقِيـلٌ سَـمَاعُ لفـظِ الفِـرَاق

فُرْقَـةُ الإلْـفِ صَـعْبَةٌ غَيـر أنّـي أَخدَعُ النّفسيَ بَعْدَها بـالتّلاقِي

قدم ابن زمرك في هذين البيتين اوجاع المحب المفارق باسلوب نلمس فيهِ الاحساس الصادق فجاء بكلمات سلسلة عفوية ذات معنى عميق ليكشف عن اضطراب نفسي وتداخل فكري ما بين تصديق الواقع أو خداع النفس بواقع آخر يطمح اليهِ مع علمهِ بعدم تحقق لهذا الواقع الخيالي الذي يترقبه .

وهذا ما يزيد من الاضطراب والانفعال العاطفي والنفسي لكن ابن زمرك يتخذ من الخيال وخداع النفس تسلية ليخفف عن آلام البعد مدركاً انها خدعة نفسية لا غير ليبين ما احدثه البعد من تأزم وصراع نفسي لدرجة تجعل الشاعر يميل الى خداع نفسهِ ويظهر اشتياقه لشيخه لسان الدين ابن الخطيب وكان ذلك قبل ان يدب الخلاف بينهما وتظهر المفارقة بين القرب والبعد, يقول[٣٠]:

(الطويل)

وَيَا سَاكِنِي بالأَجْرَعِ الْفَرَدِ مِنْ مِنًى ... وَأَيْسَرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكِ كَثِيرُ
ذَكَرْتُكِ فَوقَ البحْرِ، البُعْدِ بَيْتَا ... فَمَدّتْهُ مِنْ فيضِ الدُّمُوعِ بُحُورُ
وَوَاللهِ مَا أَدْرِي أذكَرُكَ هَزَّنِي ... أَم الْكَأسُ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَدُورُ
فَمَنْ مُبْلِغ عَنّي النَّوَى مَا يَسُوؤهَا ... وَلِلبَيْنِ حُكْمٌ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

تعبر الأبيات حالة التأزم النفسي للشاعر نتيجة للبعد الذي ارغمه على الخطاب الموجه بهذه الطريقة وهي رداً على رسالة نتيجة لسان الدين بن الخطيب فيظهر فيه اشتياقه له حتى كانت دموعه كفيض من بحور شوقا للقرب الذي يطمحه فكاء قلبه ملحف للقاء ويبدو ان ذلك الاشتياق كان مبالغا فيه نوعا ما.

وصرح ابن زمرك بعدم قدرته على تحمل بعد الحبيب عنه, يقول[٣١]:

(الطويل)

إذا غابَ عَنْ عَيْنِي الْحَبيب تَفَجَّرَتْ ... دُمُوعي كأَنَّ العَيْنَ تَغْرفُ مِنْ عَينِ

يتبين من البيت الشعري شدة التوجع والتحسر الذي سببهُ له (بعد) الحبيب فكانت النتيجة ان عيون المحب تفجرت بالدموع حزنا للفراق واشتياقا بالوصل (القرب) الغائب.

ولكي يثبت الشاعر مدى تأثيره وشدة بكاءه فقد جانس بين (عين) الاولى وهي عين الشاعر الممتلئة بالدموع و(عين) الثانية هي عين الماء ليرسم صورة في غاية الدقة ليبين فيها عن كثرة الدموع التي انهمرت منه لفراق ذلك الحبيب حتى كان عينه تغرف الدمع من عين ماء جارية ليدل على صدقهِ واحساسهِ المرهف الذي لا يقوى على بعد الحبيب.

ويقول[٣٢] في موضع اخر:

(الكامل)

يَـا غُصْـنَ بَـانٍ قَـدْ تَـنَعَّمَ فـانْثنى ... جِسْـمُ الْمحِـبّ بِـهِ يَـرّقُ ويَـذْبُلُ
مَـلاَّ المَسَـامع ذِكْـرهُ مَـنْ يسـتمِعْ ... مَلَـكَ القُلُـوبَ جَمَالـهُ مَـنْ يَعْقِـلُ
ولَكُـمْ سَـهِرتُ بليْلَـةٍ كَدلاَلَـةٍ ... والـنَّجْمُ مِثْلـي فـي الـدُّجىَ يَتَملمَـلُ

شبه الشاعر معشوقته بالغصن دلالة على رشاقتها وتمايلها مما جعل قلبه يرق ويذبل لكن البعد قد سلب الشاعر الاستقرار فهو في اشتياقه للمحبوب يشبه نفسه بالنجم الذي لا يستقر في مكانه وذلك في قوله وذلك في قوله (والنجم مثلي في الدجى يتململ) فوجه الشبه بينهما هو عدم الاستقرار في مكان ثابت ليكشف عن سيطرتها على تفكيره وتعلقه بذكراها حتى بات غير مستقرا يتأمل القرب (الوصال) المفقود الذي يرومهُ الشاعر.

وعبر عن اشتياقه لاستاذه لسان الدين ابن الخطيب من خلال ثنائية (القرب/البعد) وذلك ردا على رسالة منه وكان ذلك قبل ان يدب الخلاف بينهما, يقول[٣٣]:

(مخلع البسيط)

أصْـبَحتُ أشـكُو إلـىَ زَمَـانٍ ... مَـا بِـتُّ مِنْـهُ عَلَـى أمَـانِ
مَـا بَـالُ عَيْنَيـكَ تَسْـجُمانِ ... والـدَّمْعُ يَـرْفَضّ كالجُمَـانِ
مَـا ذَاكَ وَالإلْـفُ عَنْـكَ وَانٍ ... وَالبُعْـد مِـنْ بَعْـدِه كَـوَانِي؟
يَـا شِـقْوَةَ الْـنَفْسِ مِـنْ هَـوَانِ ... لَجَجْـتُ فـي أَبْحُـر الهَـوَانِ
لَـمْ يَثنِـهِ عَـنْ هَـوَاكِ ثـانٍ ... يَـا بُغْيَـةَ الْقَلْـبِ قَـدْ كَفَـانِيَ

ويبدي الشاعر اشتياقه لفراق استاذه لسان الدين ابن الخطيب ويبدوا انه لم يلتق بصاحبه منذ فترة طويلة حتى اصبح يشكوا من الم الفراق وان ذلك الفراق قد اتعبه وهو يتحسر برغبة الوصال والقرب.

وقال[٣٤] في مدحه للمستعين بالله:

(الخفيف)

يَــا غــزالاً يَرْعــى بَــروْضِ الفُــؤادِ فَهُــو مِــنْ مُقْلَتِــي مَكَــان السَّــوَادِ
أنْــتَ فِــي العَــيْنِ وَالفُــؤادِ مُقِــيمٌ وَأنـــا أشـــتِكي ألـــيمَ البعَـــاد
أطْلَـــعَ الله مِنْـــكَ بَـــدْرَ كَمَـــالٍ نُــورُهُ فــي القُلــوبِ إنْ غَــابَ بَــادِ

تبدوا ثنائية (القرب/البعد) هي المهيمنه على النص الشعري فالخليفة رغم بعده جسديا عن الشاعر الا انه قريب روحيا فهو مقيم في فؤاد الشاعر ورغم ذلك فالشاعر يشكو الام البعد لدلالة كثرة اشتياقه له .

وقال[٣٥] معتذرا وقد آلمهُ البعد :

(البسيط)

هَلْ مِنْ مُعِينٍ عَلَى الأَشْجَانِ وَالفِكَر أوْ مُسْـعد فِـي قَضَـاءِ اللَّيْـل بالسَّـهَرِ
قَدْ عِيلَ يَا خَيْرَ مَنْ لاَذَ الغَرِيبُ بهِ بَـيْنَ الرَّجَـاءِ وَبَـيْنَ اليَـاس مُصْـطَبري
مـا زِلْـتُ تُنْهِضُـنـي الأشـواقَ نَحْـوكُمْ وانثَنِــي مِــنْ حَيَــائِي دَائِــمَ الفِكــر
قضـيتُ يَـوْمَيْنِ لَـم أُسْـعَفُ بِـرُؤيَتِكمْ والــنَّفْسُ ذاهِبَــةٌ منــي علــى الأثــرِ

صور ابن زمرك الم الفراق الذي اثر في نفسه فنظم هذه الابيات في تصوير تازم واضطرب حالته النفسية بسبب البعد بينه وبين من يحب ويبدو ان من فارقهم لهم المكانة الخاصة بقلبه حتى بدا يستشعر الم الفراق وهو لم يقض اكثر من يومين برؤيتهم حيث الحزن والالم باد على نفسه فكان قلبه يفيض بالشوق والحزن لفراق من يحبهم ويظهر شعوره بالقلق والخوف لهذا البعد، ومناجات الشاعر واضحة في تساؤله كيف يقضي الليل وهل من شخص يساعده في قضاء تلك الليلة بالسهر ففراق الاحبة قد سلبه نعمة النوم فيظهر البعد بشكل مهيمن على النص اما القرب وهو الهدف الذي يرومه الشاعر فقد كان مغيبا سبب هيمنة الطرف الاخر (البعد).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

(١) مفردات غريب القرآن : ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت: ٥٠٢هـ), ج١, تح: مركز الدراسات والبحوث , مكتبة نزار مصطفى الباز , د.ت , ٥١٥.

(٢) القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزابادي , تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة , باشراف : محمد نعيم , بيروت– لبنان : ط٨, ٢٠٠٥: ٢٦٨.

(٣) لسان العرب : ابن منظور الافريقي المصري , دار بيروت – لبنان , ١٩٩٥م: مادة (قرب).

(٤) سورة سبأ، آية: ١٩.

(٥) سورة هود، آية:٩٥.

(٦) الثنائيات الضدية , دراسات في الشعر العربي القديم , د. اسمر الديوب , الهيئة العامة الثورية للكتاب , وزارة الثقافة , دمشق , ٢٠٠٩: ٣٤.

(٧) جدلية ابي تمام , د. عبد الكريم اليافي , منشورات دار الجاحظ – بغداد , ١٩٨٠م: ٢٢–٢٣.

(٨) ديوان زمرك الاندلسي : ١٨١.

(٩) ينظر: دراسات في الفلسفة الوجودية , بدوي عبد الرحمن , دار الثقافة , بيروت : ١٩٧٣م: ٢٥١.

(١٠) ديوان ابن زمرك الاندلسي : ٩٦.

(١١) الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم : د. سمير الديوب , منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب , دمشق ٢٠٠٩م: ١٤٠.

(١٢) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي , د. كامل حسين البصير : ١٤.

(١٣) مسائل فلسفة الفن المعاصر : جاي ماري , ترجمة :د. سامي الدوري , دمشق , ط٢, ١٩٩٥م: ٨٨.

(١٤) ينظر: الذات الشاعر في شعر الحداثة , د. عبد الواسع الحميري , المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان , ١٩٩٩م: ١٢.

(١٥) الديوان :

(١٦)

(١٧) الغزل العذري , يوسف سامي اليوسف , دراسة في الحب المفتوح , دار الحقائق , بيروت , ط٢, ١٩٨٢م: ٣٩.

(١٨) ملحق لاشعار ابن زمرك الاندلسي : ٥٧.

(١٩)الفن البلاغي في نونية ابن زيدون , د. آمال موسى محمد نور , مجلة العلوم الانسانية والاقتصادية , كلية اللغات والترجمة , جامعة الرباط الوطني ١٤, ٢٠١٣: ٦.

(٢٠) ديوان ابن زمرك الاندلسي : ١٩٥.

(٢١)الجسد والصور والمقدس في الاسلام , فريد الزاهي , دار افريقيا الشرق – المغرب , ط١: ١٩٩٩م: ١٠٢

(٢٢) ديوان ابن زمرك الاندلسي : ٢١٣.

(٢٣) ينظر: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم : د. سمير الديوب , منشورات الهيئة العامة للكتاب , دمشق ٢٠٠٩: ١٥٩.

(٢٤) ديوان ابن زمرك الاندلسي : ٢٥٧.

(٢٥) ملحق لأشعار ابن زمرك الاندلسي : ٥١٥ .

(٢٦) تاريخ الادب العربي , عصر الطوائف والمرابطين , د. احسان عباس , دار الشروق للنشر والتوزيع , عمان – الاردن , ١٩٩٧م: ١٣٠.

(٢٧) ديوان ابن زمرك الاندلسي : ٢٠٠.

(٢٨) ديوان ابن زمرك الاندلسي : ٢٧٠– ٢٧١.

(٢٩) الديوان : ٢٧٣.

(٣٠) ملحق آشعار ابن زمرك الاندلسي(ضمن الديوان) :٤٢٦

(٣١) ديوان ابن زمرك الاندلسي:٢٢٢.

(٣٢) : ديوان ابن زمرك الاندلسي:٢٨١.

(٣٣):٤٩٧ ملحق لأشعار ابن زمرك الاندلسي (ضمن الديوان) –٤٩٨ .

(٣٤) ديوان ابن زمرك الاندلسي:١٠٨.

(٣٥) الديوان : ١٧٤ – ١٧٥ .